

إني أتهم

بقلم دبلوماسي لبناني متقاعد

كان موعدنا مساء الثلاثاء الواقع في ١٢/١٢/٢٠٠٠ على شاشات التلفزيون في لبنان مع صندوق فرجة المؤتمر الصحفي الذي شأوا به إقبال ملف المختطفين اللبنانيين الأسرى في سوريا. كان صندوق الفرجة هذا تتويجاً لهول المأساة التي يعيشها الشعب اللبناني في ظل تولي أبطال الصندوق ومالكوه مقدرات الحكم والأمن والقضاء على أعلى المستويات. الدجل والكذب والرياء والاحتواء (أو على الأقل محاولة الاحتواء) سيّد المواقف الرسمية وإن فشل وهذا سلاح الذي لا حجة له.

نعم أيها السادة، إن من استدعى انسي الحاج وعدنان شعبان إلى التحقيق، ومن أوحى بهذا التحقيق من خلف الستار، هم أناس اذلاء، دجالون ومنافقون. ليس بهذه الخفة تعالج أمور اختفاء وخطف المواطنين اللبنانيين في وطنهم.. لقد أوقف الجيش السوري وأجهزته الأمنية مدنيين لبنانيين دون مسوغ قانوني في لبنان ونقلهم إلى الأراضي السورية ليلقوا الذلّ والمهانة والعذاب الجسدي من قبل محاكم عرفية تخالف كل أصول المحاكمات وشرعة حقوق الإنسان. هذه الأمور تخالف بوضوح اتفاقات جنيف التي ترعى أحكام وجود جيش أجنبي على أراضي دولة أخرى. ونحن لا نتطرق إلى قانونية هذا الوجود، أكان أخوياً أو احتلالياً. لقد قامت هذه الأجهزة المخابرتية العسكرية بهذه الممارسات دون حسيب، إمّا الرقيب فموجود ولديه الخبر اليقين بكل شاردة وواردة غير أنه عميل حقير وقذر وقد احتوى هذه التجاوزات وهو يحاول الآن التستر على عملية إفراغ الموضوع من محتواه تمهيداً لاحتواء نقمة ستمتد في الذاكرة الشعبية حتى الثورة والانفجار.

أما موضوع العسكريين اللبنانيين الذين يقبعون في السجون السورية، فهو أمر مختلف تماماً. إن شئنا أم أبينا فإن معارك دارت بين الجيش اللبناني والجيش السوري على امتداد ١٥ عاماً من الحرب اللبنانية. لقد اسر الجيش اللبناني عسكريين سوريين خلال هذه المعارك غير أنه لم يحاكمهم محاكمة عرفية بجرم الاعتداء على العسكريين اللبنانيين وقتلهم وقصف المدن والقرى اللبنانية وهدمها. إن قيادة الجيش اللبناني لم تأمر بالطلق بدفن أو إخفاء جثث عسكريين سوريين قتلوا أثناء المعارك في مقابر جماعية، بل قام الصليب الأحمر بإخلاء الجثث في كل مرة وقام بتسليمها إلى القيادات السورية. لقد عامل الجيش اللبناني الأسرى السوريين لديه المعاملة التي تنص عليها اتفاقات جنيف التي تتعلق بأسرى الحرب من العسكريين.

نحن نقول هذه الأمور لأن صاحب الشأن صامت غائب لا يدافع عن أبنائه وهو أول من خان الأمانة ودنس شرفه العسكري في ١٣ تشرين الأول ١٩٩٠. إننا نتفهم نقل أسرى من

العسكريين اللبنانيين إلى سوريا إذا سلّمنا جدلاً بأن المعارك كانت نتيجة حرب معلنة بين دولتين، ويكون وضع الأسرى إذ ذاك محكوماً بنصوص معاهدات جنيف ولا يعاملون معاملة السجناء السياسيين وسجناء الحق العام، فتسمح زيارات الصليب الأحمر وتلقي البريد والطرود حيث أنهم يعيشون في معتقلات خاصة أشبه بالتكنات العسكرية وهذا كلّ لم يحصل.

لقد حرص السوريون وعملآؤهم في السلطة اللبنانية على وصف عمليات الجيش السوري التي استهدفت الجيش اللبناني على أنها قمع للتمرد على السلطة اللبنانية وعلى هذا الأساس كان لزاماً على الأجهزة السورية تسليم المعتقلين من الجيش اللبناني إلى أجهزة السلطة "صاحبة الحق" لتقوم بما هو مناسب وفق القوانين اللبنانية المرعية الإجراء. على هذا الأساس من حقنا التكهن بأنه إذا لم يظهر في سوريا مصير العسكريين اللبنانيين المفقودين أو الموقوفين على اثر "إنهاء التمرد على السلطة" فإنه من المنطقي جداً وجود هؤلاء العسكريين في عهدة السلطة اللبنانية، هذا إذا لم تتم تصفيتهم فور استلامهم في غير مكان نهار ١٣ تشرين ١٩٩٠، كما شاهدت عدسات الصحافة واحد النواب الأطباء جثثهم في مستشفى بعدا الحكومي موثوقة الأيدي ومصابة بطلاقات نارية أطلقت عليهم وهم راعون وقد شوهدت أجسادهم وقد تحلّى الجيش السوري بالشجاعة الأدبية اللازمة عندما لم يعتم بإخفاء جريمة كهذه، وهذا ما يدعونا للتفكير الجدّي بأن الجيش السوري قد سلّم الأسرى الباقين إلى السلطات اللبنانية العميلة الضليعة بالخيانة وقد قامت بقتلهم ودفنهم إخفاءً لجريمتها في مقابر وحفر جماعية وهي الخبيرة بكتم الحريات العامة والاعتقالات الكيفية وحتى تصفية الأشخاص وإخفاء جثثهم.

لذلك إذا لم يظهر أسرى الحرب اللبنانيون في سوريا أو على الأقل لم تعد رفاتهم إلى وطنهم لتدفن وفق المراسيم العسكرية التي تحقّ لكل عسكري ولو كان من الأعداء، فإن أصابع الاتهام نوجهها إلى السلطة اللبنانية وإلى رئيسها بالتحديد وأجهزته الستالينية فحذار اللعب بالنار في هذه الحالات. إن التاريخ لا يرحم والمصارحة من قبل النظام اللبناني والنظام السوري وإن جاءت متأخرة، فهي أفضل لهما من محاولة الهروب إلى الأمام أو الاحتواء أو التخوين أو استباق ردّات الفعل من قبل الأهالي المفجوعين.

الذاكرة الشعبية لا تنسى، الغضب والانفجار والثورة، نار تلهب العملاء لقد وجد شرخ بين الشعب اللبناني وسوريا وعلى من أوجده العمل على رأسه-اللهم إني بلغت.

نيويورك ٢٠٠٠/١٢/١٥